

الحجاج في سورة الواقعة

أ. روادى إبراهيم

جامعة عمار ثليجي- الأغواط- الجزائر

توطئة

يتطرق هذا البحث إلى أسلوب الحجاج في سورة الواقعة، حيث تحدثت من خلاله عن هذا الأسلوب باقتضاب متناولا بعض قضاياها مثل المصطلح، وأوجه التلّاق والاختلاف بينه، وبين البرهان والدليل، وخصّصت جزء من البحث لأساليب الحجاج الواردة في السّورة مبرزاً خصائصه مستعينا بالتفسير ثم ببعض ما كُتب حوله من اللغويين المحدثين.

القرآن الكريم رسالة الله الخالدة والأخيرة للعالمين، من أجل ذلك كان الخطاب القرآني خطاباً عاماً في أوسع معنى العموم والشمول، زاحراً بالدلائل التي تبدّد ظلمات الشك وتهتك حجب الارتياب، واقفة للعقل والقلب بكل سبيل تدعوه للإذعان والاعتراف ليقف على الجادة الموصلة إلى السعادة في الأولى والآخرة.

هذا الخطاب اتخذ من أساليب الحجاج والاستدلال والجدال وإقناع ما هو حدير بالبلاغ الأخير للعالمين كافة قال الله تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَحْدٌ وَلِيَذْكُرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١)

خطاب يسير أغوار النفس الإنسانية ساداً عليها مسارب الهروب والتفلسف مستعملاً معها الترهيب تارة والترغيب تارة أخرى، ومع العقل سلاحه البراهين القاطعة والحجج الساطعة حاسماً مادة الجدل والدعوى الواهية بالإقناع، نجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (٢)

يقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: "أي كرّرنا وأوردنا على وجوه كثيرة من النّظم في هذا القرآن للنّاس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملة ما مرّ من مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا، أو من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية إلى الإيمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا" (3)

لقد استخدم الذكر الحكيم من كل مثل لإقامة الحجة، فاستعمل أساليب الإقناع الحق والاستدلالات المختلفة الاستنباطية والاستقرائية المأخوذة من الواقع المشاهد، ومن مجرّبات صادقة تغوص إلى ما تهجس به النفس، كذلك زخر الكتاب العزيز بالأمثال المضروبة للعضة والاعتبار، ولم يخل أيضا من التنويه بالحقائق في الأنفس والأفاق، هذه الأساليب وغيرها لم نأت على ذكرها تتمتع بخاصية النّفع لكل أحد "فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به أحاد الناس ويستضر بها لأكثرهم، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي، والرضيع والرجل القوي" (4)

هذا الثراء ثم ما وفد من ثقافات تعتمد على المنطق والعقل أرسى المنطلقات الأولى لما أطلق عليه في تاريخنا الفكري علم الكلام الذي اتخذ من التحاجج، والمنطق الفكري سلاحا في السجال الفكري الذي دار إذ ذاك بين المسلمين وغيرهم من أصحاب النحل الأخرى، وبين الفرق الإسلامية التي نشأت وتكونت داخل الدولة الإسلامية، يقول ابن خلدون معرّفا علم الكلام "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرّد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات" (5)

إنّ الموروث الفكري لأسس علم الكلام الذي أقام صرحه جهابذة العلماء المسلمين، وما جد في العصر الحديث من بحث للنقاش حول قضايا متعلقة بالبحث اللغوي منها ضبط المصطلح لتأصيل الدراسة حتى لا يطيش سهم الباحث ويضرب على غير هدّى فإنّه ما من شك أنّ ضبط المصطلح له تأثير بالغ على المعنى المراد لأنّ تحديد المفاهيم والعلم بحقائق الأشياء يعدّ أمرا مهما لأجل التّضييق من دائرة الخلاف الحاصل أغلب الأحيان نتيجة الاختلاف في ضبط المصطلحات (6).

إنّ تحديد المصطلح وضبطه بدقة متناهية ليكون شاملاً كاملاً مانعاً يزداد صعوبة إذا وجدت ملفوظات متقاربة المعاني متداخلة الحقل الدلالي، وقد تتشابه أيضاً في أجرة تطبيقها يقول صابر الحباشة " وهنا نجد البرهان والاستدلال والحجاج، والجدال والاستقراء والقياس، وغيرها من المصطلحات الأساسية في النظريات الحجاجية غير مستقرة، ولم يغلب عليها في السياق العربي العام توجه واضح يعفي الباحث الجديد من تلمس الطريق الشائكة نحو مزيد تدقيق الجهاز الاصطلاحي، طبعاً هذا فضلاً عن الاختلاف الجزئي في الجذر (ح.ج.ج)، فمنهم من يستعمل الحجاج، ومنهم من يفضل التحاجّ ومنهم من يفك الإدغام فيقول التحاجج، ومنهم من يستعمل المحاجة ومنهم من يفكّها فيقول المحاججة، وغير ذلك من التصريفات الحجاجية"⁽⁷⁾.

قد يسعفنا التوسل بالمعجم - والحال هذه - في الخلوص إلى تحديد دلالة المصطلح ولو نسبياً "لأنّ الحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأساسية لحيطها الدلالي" ⁽⁸⁾ واستناداً إلى الاستعمال القرآني الذي يجعل من اللفظة مستعملة في مكانها المناسب من النظم تصيب مقطع الحق وتوفي عن الغاية، فقد جاء ذكر التحاجج والحجة بمعانيهما المختلفة عشرين مرة أغلبها خطاب في معرض الرد على المجادلين في قضايا منها على سبيل التمثيل حوار إبراهيم مع قومه، ومباهلة النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران في نبوة عيسى عليه السلام وذكرت كلمة برهان ثماني مرات في مقام وصف الحجة بالوضوح والجلال أو مطالبة المكابر أن يأتي بها، ووردت صيغة دل. بمختلف مشتقاتها في مواضع سبعة تشترك في إبراز الإطار اللغوي المفهومي لهذه الصيغة وهي تعني الإشارة إلى الشيء، أو الذات سواء أكان ذلك تجريداً أم حساً أما في معاجم اللغة فنجد الزمخشري عند مادة (ح، ج، ج) يقول:

"احتج على خصمه بحجة شهباء وحجج شهب، وحجّ خصمه فحجّه، وفلان محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاحة"⁽⁹⁾.

وجاء في مفردات الراغب عند نفس المادة "والحاجة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته قال الله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنْتَنِي وَلَا أَخَافُ مَا

تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ (10)، وقال أيضا: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١١) (11)، وقال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَّابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٥) (12) ﴿هَتَأْتُمْ هَتُّؤَلَاءَ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) (13) وجاء عند الراغب أيضا عند كلمة برهان " البرهان بيان للحجة وهو إعلان مثل الرُّجْحَان والثَّيْبَان وقال بعضهم هو مصدر بره يبره إذا ابيض، ورجل أبره وامرأة برهاء، وقوم بره وبرهرة شابة بيضاء، فالبرهان أو كد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدا (14) .

من خلال هذه الوقفة مع المعنى اللغوي لهذه الألفاظ واستعمال القرآن لها يبدو أن الاستدلال عام يتفرع عنه الحجج والبراهين مع تسجيل أن الحجة أو ما اشتق منها تستعمل في مواطن بحضور يفسح فيه المجال للغة للجدال وإفحام الخصوم "لأن اللغة تحمل بصفة ذاتية، وجوهرية وظيفية حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية، والمعجمية والتركيبية والدلالية (15) فلا غرابة أن نجد الفلاسفة اليونانيين يدعون إلى الإقناع بأحسن الوسائل فيعملون على استمالة العقل السليم بالكلام المقنع، وكذلك يستخدمون المثل الأخلاقية العليا، ومكارم الأخلاق على أنها قيم مطلقة يؤثرها كل ذي عقل سليم وفطرة سوية، فإنهم كذلك يشحنون العاطفة الإنسانية، وهذه هي طرق الإقناع الثلاثة التي نوه بها أرسطو في كتابه الخطابة (16) ووسائل الإقناع المذكورة في هذا النص تعتمد على أداة اللغة.

إن ثراء اللغة وتعدد مستوياتها هو الذي أتاح لها أن تتخاطب الإنسان عقلا وقلبا، ونفسا بمحمولها الذي يفي بكل مكون مما ذكر " ومادامت الحجة لا تفارق اللغة فإنها تنطوي على

أقوى مظهر للقصدية ولا عجب إذ ذاك أن نجد اللفظ العربي حجّ يفيد لغة قصد فتكون كل حُجة بضم الحاء بمثابة حجة أي قصدا. (17)

من أجل هذا فضلت أن أسمى ما ورد في سورة الواقعة بالحجاج مؤثرا له على مصطلحات أخرى، وهذه السورة من السور المكية التي أقامت الدلائل على وجود الله ووحدانيته، وكمال قدرته منوهة بذكر القرآن الكريم ذاكرة القيامة الكبرى في مستهل السورة وانقسام الخليقة إلى ثلاث طوائف مسهبة في ذكر مآلهم محتتمة بذكر القيامة الصغرى عند حضورا لأجل فكان ذلك كالتفصيل لما ورد في أول السورة من إجمال، والإشادة بذكر مآثر المقربين في البدء والختام (18).

إن إقامة الحجج ونصب الدلائل ليزداد الذين آمنوا إيمانا وينتظم في سلك المؤمنين من ليس منهم لا يقوم بهذا العبء جملة واحدة ولا مجموعة من الجمل، وإنما ينهض به "حقيقة خطابية هي النص" (19) فهذه السورة نص كريم يزخر بأروع الأساليب التي وُظفت فيها اللغة توظيفا يخدم الغرض العام للسورة، وتلون فيها الخطاب الموجه للمؤمنين لتثبيتهم على الحق راسمة لهم مشاهد من النهاية المشرقة التي تنتظرهم، مخاطبة الكفرة المجرمين محذرة لهم من سوء المنقلب راسمة لهم أيضا مشاهد من حياتهم للرجوع عن التمادي في الغي والضلال فاستهلّت السورة بالظرف (إذا) المتضمن معنى الشرط المجزوم بوقوعه جاء في معاني النحو "إنّ إذا على كثرة استعمالها في القرآن الكريم، فقد وردت في أكثر من ثلاثمائة وستين موضعا، لم ترد في موضع واحد غير محتمل الوقوع" (20)، وجاء لفعل (وقعت) من لفظ الفاعل (الواقعة) متبوعا بجملة اسمية منفية تقدم فيها الخبر عن الاسم "فالجملة المنفية تنفي جملة مثبتة" (21) فهي تنفي نكران البعث الذي ادعوه، فهذا الاختيار الدقيق للألفاظ المختلفة المباني المتحددة في المعنى تأكيد لحتمية وقوع هذا اليوم.

بعد التأكيد يأتي ما يصحب هذا الحدث الجلل من هزّ للأرض وبسّ للجبال، والحدثان مؤكّدان بالمصدر المشتق من الفعل "لأن الفعل يتضمن الدلالة على الحدث، والمصدر يدل

على الحدث نفسه فيصبح ذكر المصدر تكراراً لذكر الحدث في الفعل وفي تكرار ذكر الحدث تأكيد له" (22)

إنَّ حشد المؤكّدات في مستهل السورة له أغراض منها:

- نفي الشك الذي ساور المنكرين لهذا اليوم، وما يقع فيه

- إنَّ ما يذكر بعد هذا الاستهلال في تضاعيف السورة من ثواب وعقاب هو الحق أيضاً.

بعد هذا الحدث يصير الناس ثلاثة أصناف مذكورين على الترتيب في ثانيا السورة، وهم أصحاب اليمين والسابقون وأصحاب الشمال، نوّهت السورة بشأن السابقين، وكرّرت ذكرهم مرتين السابقون السابقون، وذكرت الصنفين الآخرين بأسلوب الاستفهام المسوق للتهويل والتفخيم أداته ما الاستفهامية المشربة معنى التعظيم والتفخيم ومعنى جملة الخبر هذه أي شيء هم في حالهم وصفتهم (23).

إثر هذا أخذت السورة الكريمة في رسم مشاهد حياة كلّ طائفة من المذكورين على حده وبدأت بالسابقين، رسم المشهد بجمل منتقاة تشد النفس وتستثيرها بالشوق إلى تلك الحياة الممتعة الأخاذة التي هي أقصى ما تطلبه النفس البشرية من متع وملاذّ فذكرت الفاكهة، واللحم والخمر، والخور الحسان، ذكرت الأصناف بالفعل المضارع المسند للجماعة الذكور يصدّعون، لا ينزفون، مما يتخيرون، مما يشتهون "ففي هذه المنظومات التعبيرية تسمع أنغاماً متتالية متجانسة متناسقة في وقعها الصوتي وبنائها لإسنادي" (24)، ويستمر عرض المشاهد بمشهد الحياة التي يحياها أصحاب اليمين، فهم في، سدر مخضود، وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب، لوحة حية رسمها اسم المفعول المكرر ليبين أن النعيم معد مهياً فلا وجود لأدنى مشقة في تحصيله عقب ما ذكر يأتي النظم الكريم ليصف مستقر أصحاب الشمال، وصف سخرت فيه ألفاظ تصور جوه فهنا الحميم الذي يقطع الأمعاء والسّموم التي تلفح الوجوه وتنفذ إلى ما وراء ذلك، جوّ يلفه الدخان الأسود القاتم، بعد هذا ذكر السبب الذي استحقوا به سوء المنقلب وهو الإصرار على الحنث

العظيم واستبعاد البعث ، ولم يغفل المشهد بعد بل مازال يصف العذاب متمثلاً في أكل الزقوم، والشرب من الحميم الذي يشربونه شرب عطاش الإبل مستعملاً النظم الكريم في هذا العرض اسم الفاعل المجموع ('الضالون، المكذبون، لآكلون، فمالتون)، ففي المشاهد التي مرت أستحثت النفس إلى الإيمان بالترغيب الذي يحدها، وبالتخويف الذي يسوقها لتسلك السبيل الذي يوصلها إلى التيعم الذي سرده السورة، ويجنبها العذاب المهين المذكور، بعد ذلك ينتقل الخطاب إلى لون آخر من الخطاب تقام فيه الحجة على العقل توسط قلب السورة مستعملاً الجمل الاسمية فهي المؤهلة "للتعبير عن الحقائق والمبادئ القارة ويجعلها ملائمة للحكم والأمثال، ويفسر استعمالها للحجاج وتقديم الأدلة " (25)، الحقائق التي أتى على ذكرها هذا الجزء هي الخلق فذكرت مخلوقات خاصيتها أشار إليها الأستاذ الطاهر بن عاشور بقوله: "وذكرت كائنات مختلفة الأحوال، متحدة المال، إذ في كلّها تكوين لموجود مما كان عدماً، وفي جميعها حصول وجود متدرج إلى أن تقوم بها الحياة" (26).

المخلوقات المذكورة أولها الإنسان المخلوق من منيّ يصب في الأرحام فيتحول من ماء مهين إلى مخلوق سويّ في أحسن تقويم ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨) ﴿أَشْرَقَتْ خَلْقُونَهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (27). "إنّ دور البشر في هذا الخلق لا يزيد على أن يودع الرجل ما يميّ رحم امرأة، ثم ينقطع عمله وعملها وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين تعمل وحدها في خلقه، وتنميته وبناء هيكله، ونفخ الروح فيه، ومنذ اللحظة الأولى وفي كل لحظة تالية تتم المعجزة وتقع الخارقة التي لا يصنعها إلا الله" (28).

هذه بداية الخلق، وبدون طي لمراحل الخطاب تذكر النهاية مما يشي بقصر عمر الإنسان ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٦٠) (29) قال الأستاذ الطاهر بن عاشور في تفسيره للآية "أنّ الموت مجعول على تقدير معلوم مراد مع ما في مادّة قدرنا من التذكير بالعلم والقدرة، والإرادة، وفي كلمة بينكم معنى آخر وهو أنّ الموت يأتي على أحادهم تداولاً وتناوباً، فلا يفلت منه واحد منهم فهو كالشيء الموضوع للتوزيع لا يدري

متى يصيبه قسطه منه فالناس كمن يدعو إلى مال أو ثمر، أو نعم لا يدري أحد متى ينادى عليه⁽³⁰⁾، وفي ثنايا الحديث عن بداية الإنسان ونهايته تحمل آية أخرى استدلالاً على البعث وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁽³¹⁾ ومفاد هذا الاستدلال أن الذي خلق من العدم قادر على الإعادة، بل الإعادة أهون عليه .

بعد هذا ذكرت المخلوقات الثلاث الأخرى وهي الزرع والماء والشجر في آيات متتالية هي: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾⁽³²⁾ ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَتَنْتَزِعُونَ﴾⁽³³⁾ وقال أيضاً: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾⁽³⁴⁾ ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾⁽³⁵⁾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾⁽³⁶⁾ ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾⁽³⁷⁾ (32)

جاءت هذه الآيات بمنطق علمي فريد ممتنة على الخلق بمادتين هما قوام الحياة، الغذاء والماء تضمنت استفسارا عن من أوجد الزرع، ويكون الجواب الذي لا يقبل العقل غيره أنت يا ربنا وحدك الذي أوجده حتى استوى على سوقه فكان غذاء تقوم به الحياة فكيف ينكر المنكرون البعث وهم يرون نضيرة ماثلاً أمام الأعين في خلق الزرع من بذر يطمر في التراب ثم تدب فيه الحياة ومعنى أفرايتم أخبرني قال: "الأخفش لا بدّ بعد رأيته. بمعنى أخبرني من اسم المستخير عنه وتلزم الجملة بعدها الاستفهام لأنّ أخبرني. بمعنى الاستفهام" (33) فالسؤال بهذا النمط ذو قوة حجاجية مطلقة لا يسع المنكر إلا التسليم قال محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره للآية هذه "ولا شك أنّ الجواب الذي لا جواب غيره أن يقال أنت يا ربنا الزارع المنبت، ونحن لا قدرة لنا على ذلك، فيقال لهم كل عاقل يعلم أن من أنبت الزرع من هذا البذر الذي تعفن في باطن الأرض قادر على أن يبعثكم بعد موتكم" (34). بعد الزرع يأتي دليل آخر هو الماء الذي أنزله الله من المزن، فمن ذا يستطيع أن ينزله إذا حبسه الله والجواب الذي لا جواب غيره هو كما مر في شأن الزرع، الماء الذي لو شاء ربنا لأفقدته خاصية الانتفاع فيجعله أجاجاً كما كان أصله لأن مصدره البحر، وماء البحر ملح أجاج، فكيف وصل إلينا عذبا فراتا ؟

على نفس الوتيرة يأتي ذكر الشجر ونشأته ومنافعه، فهل من مدح يزعم أنه أنشأ الشجر؟ ويبقى الجواب نفسه لا يتغير، وهو نتيجة طبيعية لكل استفهام من هذا النمط "فهو حجاج وأدلة مؤدية إلى نتيجة معينة" (35)

ختم هذا الجزء من السورة بالأمر بالتسبيح إثر ما عُدَّ من براهين على الانفراد بالإيجاد من العدم والإمداد بالنعم، وهذا التسبيح ينطوي على تسليم مطلق للخالق الحكيم وهو "إما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيتها، الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها، أو تعجبا من أمرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها، أو شكرا على تلك النعم السابقة" (36) ثم انتقلت السورة تتكلم عن التنزيل الحكيم بأنه منزل من لدن حكيم عليم ﴿فَلَا أُفْسِدُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَّلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ (37) مستعملة القسم بأمر عظيم هو مواقع النجوم، ونظم الآية تضمّن حشدا من المؤكّدات، وهي القسم والاعتراض، وإنّ، واللام الداخلة على الخبر، هذا الحشد من المؤكّدات لدفع إنكار المنكرين لهذا القرآن بعد هذا يعرض الخطاب الحكيم مشهد النهاية التي لا بد أن تدرك كل حيّ سخرت الآية إنشاء طليبا معلقا بالشرط ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨١ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٨٢﴾ (38)، والمعنى كما يقول الزمخشري "أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء، إن أنزل عليكم معجزا قلتم سحر وافتراء، وإن أرسل إليكم رسولا قلتم ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرا يحيبكم به قلتم صدق نوء كذا، فمالكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم، إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم" (39) وهذا الطلب المعلق بالشرط لن يجد من يحققه، وإنما سيق للتعجيز "ولجوء القرآن إلى الحجاج الشرطي أمر متوقع، وفي محله تماما وذلك لأن طبيعة العقل الإنساني طبيعة جدلية" (40)، وختمت السورة آمرة بالتسبيح الموحى بالاستسلام للحي الذي لا يموت المبدئ المعيد.

خاتمة:

القرآن حجة الله البالغة إلى خلقه، فريد في نظمه متميز في أسلوبه أقام به الحجة، وأوضح به المحجة لا تفنى عجائبه ولا يشبع منه العلماء، فيه آيات بينات، وحجج واضحات تستحث النفس، وتساءل العقل لتبلغه التي هي أقوم، اتخذ من أساليب الجدال التي هي أحسن طريقاً لليقين، فزخر نظمه بالحجاج الحق، من هذه الحيشة كان ميلاد هذا البحث المتواضع الذي أقر جازماً أنني ما وفيت حقه لقصر الباع ومحدودية الاطلاع، وخصوصية الموضوع، وحسبه على علاته أنه أثار تساؤلاً، أو فتح باباً لإضافة جديد.

الهوامش:

القرآن الكريم

- (1)- سورة إبراهيم الآية 52
- (2)- سورة الكهف الآية 54
- (3)- أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت ط، ج 3، ص 388.
- (4)- أبو حامد الغزالي: إلهام العوام عن علم الكلام، تصحيح وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 1985، ص 81.
- (5)- ابن خلدون: المقدمة تحقيق أحمد جاد، راجعه وقدم له أ د عبد الباري محمد الطاهر، دار الغد الجديد ط1 2007، ص 428.
- (6)- ينظر: بلخثير بومدين، أثر تعريب المصطلحات القانونية العالمية على الفكر الإسلامي، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الأول ماي 2012، ص 230.
- (7)- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص منتديات سور الأزيكية، ط1 2008، ص 46.
- (8)- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2001 ص 25 .
- (9)- الزمخشري أساس البلاغة المكتبة العصرية بيروت ط 2005 ، ص 155.
- (10)- سورة الأنعام الآية 80 .
- (11)- سورة آل عمران الآية 61.
- (12)- سورة آل عمران 65.
- (13)- سورة آل عمران الآية 66.
- (14)- الراغب الإصفهاني مفردات الراغب، مكتبة نزار مصطفى الباز دت ط، ص 57.

- (15) - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج منتديات سور الأزيكية ط1 2006، ص8.
- (16) - ينظر الدكتور زكريا بشير إمام أساليب الحجاج في القرآن الكريم نماذج من الحجج الاستنباطية، المركز القومي للإنتاج الإعلامي 1995 ص6.
- (17) - عبد الرحمن طه، التواصل والحجاج منتديات سور الأزيكية مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ص10.
- (18) - ينظر محمد علي الصابوني صفوة التفاسير، شركة الشهاب الجزائر دت ط ص304 .
- (19) - عبد الرحمن طه التواصل والحجاج، ص14.
- (20) - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو شركة العاتك لصناعة الكتاب القاهرة ط3، 2003، ج4، ص65.
- (21) - شكري المبخوت، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات مركز النشر الجامعي تونس ط2006، ص50.
- (22) - سناء حميد البياتي قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر والتوزيع الأردن ط1، 2003. ص199.
- (23) - ينظر الشوكاني محمد علي بن محمد، فتح القدير دار الوفاء دت ط ج5، ص197.
- (24) - كريم حسن ناصح الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية دلالية، دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان. ط1، 2007.
- (25) - ينظر: عبد القادر المهيري نظرات في التراث اللغوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط1، 1993، ص44.
- (26) - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير دار سحنون للنشر والتوزيع دت ط المجلد 11، ص313.
- (27) - سورة الواقعة الآية 58\59
- (28) - سيد قطب، في ظلال القرآن دار الشروق بيروت لبنان الطبعة الشرعية العاشرة 1982، المجلد6، ص3467.
- (29) - سورة الواقعة 60\.
- (30) - الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير المجلد 11، ص315.
- (31) - سورة الواقعة الآية 60\
- (32) - سورة الواقعة الآيات 63\64\68\69\71\72.
- (33) - الشهاب الخفاجي، رسالة في إعراب قوله تعالى، رأيكم حققها وعلق عليها الدكتور عبد الفتاح سد مكتبة الأدب دت ط ، ص146.
- (34) - محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط1، 1996، ج5 ، ص245.
- (35) - أبو بكر العزاوي اللغة والحجاج ص16.
- (36) - انظر أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج5، ص678.
- (37) - سورة الواقعة الآيات 75\76\77.
- (38) - سورة الواقعة الآيتان 86\87.

المحور الثاني

نوازل

وقضايا معاصرة

